الثورة
الخميس 28 رمضان 1433هـ 16 أغسطس 2012م العدد (17439)

ذاكرة المكان

الواقع والأسطورة «28»

أحمد يحيى الديلمي

وباء الطاعون في صنعاء

من الأمثلة الشائعة التي يتداولها الناس بشكل المثل الدارج على الألسنة الذي يقول (مصائب قوم عند قوم فوائد).

هذا المثل ينطبق على الواقعة التي نحن بصدد الحديث عنها.. إذ تقول الروايات أن صنعاء تعرضت في العام الهجري ٩٣٣ لوباء الطاعون (الكوليرا) في المصطلحات الطبية الحديثة قوة الوباء فتكت بأسر كبيرة في صنعاء وامتد الوباء إلى أجزاء كثيرة من اليمن كان إذا تعلق بفرد من أفراد الأسرة يبيد الأسرة عن بكرة أبيها لا يبقي منها أحداً يفتك بالرجال والنساء والأطفال من هذه الخلفية يتضح سبب الاستشهاد بالمثل السابق نظراً للفائدة الكبيرة التي تحققت لمساجد صنعاء، فقد اعتبر القاضي محمد أحمد الحجري الزمن الذي حدث فيه الوباء تاريخ فاصل بين الإهمال ونقص المرافق الذي كانت عليه مساجد صنعاء وبين النقلة النوعية التي ارتقت بوضعيتها فتحولت إلى مراكز للتنوير إلى جانب كونها مواضع للعبادة كما غدت مصادر لتزويد الناس في حارات صنعاء بالمياه التي يحتاجون إليها بالذات أصحاب البيوت التي لا يوجد بها آبار، فالمعروف أن معظم منازل صنعاء كان فيها آبار ملتصقة بالمنزل وأهل المنازل يغترفون منها ما يحتاجون إليه من المياه إلى جانب وجود الرحى الذي يسمى (المطحن) في صنعاء والخاص بطحن الحبوب أي أن كل منزل يحتوي على أهم احتياجات الإنسان الأساسية ممثلة في الماء والطعام، هذه الفقرة وإن كانت اعتراضية إلا أن الإشارة إليها كانت ضرورية بما لها من علاقة مباشرة بالموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه..

إذ تقول الروايات أن الأسر التي أغلقت أبواب منازلها ولم يغادرها أحد أفرادها نجت من الوباء، ذكر ذلك القاضي الواسعي عندما تحدث عن الأزمنة التي بدت فيها مساجد صنعاء خالية من المصلين فأشار إلى زمن الابتلاء بوباء الطاعون واحتباس الناس في منازلهم تجنباً من الوقوع في براثن الوباء الخطير، نعود إلى سياق الموضوع كما أورده العلامة المرحوم محمد أحمد الحجري في مقدمة كتابه: (مساجد صنعاء عامرها وموفيها) حيث قال: (ما عدا الجامع الكبير المقدس كانت بقية المساجد مهملة، إذ كانت صغيرة وكثيرة ومتقاربة وخالية من المطاهير والبرك والبور (الآبار) إلا ما ندر منها وكان الناس في تلك الأيام يتطهرون في بيوتهم ويحضرون لأداء الصلاة المكتوبة في المساجد، ولما وقع الطاعون بصنعاء في سنة٩٣٣ هـ أيام دولة الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين ابن الإمام المهدي عليه السلام وجد على أثر الطاعون أموالاً متروكة لا وارث لها وأشار الإمام شرف الدين رحمه الله بأن تكون في مصالح مساجد صنعاء) وقد استند الإمام إلى قاعدة فقهية تعتبر الدولة وريث من لا وارث له استناداً إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من مات ولا وارث له فلي وعلي) ولعل الإمام شرف الدين انطلق من الحديث إلا أنه أصاب في اختصاص مساجد صنعاء بهذه الأموال الجمل، ولو تمالى أهل صنعاء.

من الحوادث التي ذكرها المؤرخون وغدت متداولة على ألسنة الناس قصة الوالي يعلى ودوره في الكشف عن الجرائم الغامضة، وهو يعلى بن أمية استخلفه إبان بين سعيد على ولاية صنعاء في زمن الرسول صلى وسلم عليه على آله واستمر في الولاية إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه..

وروى القاضي محمد الحجري نقلاً عن الجندي والرازي أن يعلى بعد مقتل عثمان ترك محل الولاية ولحق بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأخذ معه الأموال التي كانت في خزائن الولاية ومن ضمنها (الجمل عسكر) والذي اشتراه يعلى من قرية عُلمان بني الحارث في الجهة القبلية من صنعاء ولا تفصلها عن المدينة سوى عدة كيلو مترات وبعدٍ أن تشكلت أمانة العاصمة صنعاء أصبحت جزءاً منها وإلى زمن قريب كان أهل عُلمان يشتهرون باقتناء الجمال والقيام بأعمال النقل ويطلق عليهم الجمالة المهم، أن يعلى سلم الجمل لأم المؤمنين عائشة فاحتفظت به لنفسها وإليه نسبت واقعه الجمل المشهورة، والقصة تقول:

إن شخصاً يدعى أصيل مثل وكان لوالده زوجة فاسدة لها ستة أخلاء اشترطت عليهم للظفر بمعاشرتها أن يقتلوا ابن زوجها أصيل فبادروا إلى قتله وألقوه في بئر قريبة من قصر غمدان، بعد أيام بدأت الذبابة الخضراء تتصاعد من البئر وكأن الوالي قد ارتاب في شخص يعمل معه فأخذه إلى فوق البئر وأمره بالنزول لاستطلاع الأمر فعاد وأخبر الوالي أنه لم يجد شيئاً، زاد ارتياب الوالي فيه وأمر رجلاً آخر بالنزول فعاد ليكشف الحقيقة ويقول أن القتيل طاف فوق الماء وكان الوالي يتابع تقلبات ملامح الرجلٍ الأول عند سماع إفادة الشخص الثاني ثم شدد عليه الخناق إلى أن إنهار وأقر بكل شيء بما في ذلك الاعتراف بشركائه في الجناية، اضطر الوالي لرفع القضية إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وقد تردد في التوجيه بقتل الستة ثم عرض الأمر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: (أرأيت لو أن نفراً اشتركوا في سرقة جذور وأخذ كل منهم عضو أكنت قاطع أيديهم قال عمر نعم فأجاب علي كذلك هذه الواقعة فكتب عمر إلى يعلى بقتل الجميع بما في ذلك المرأة وأطلق المقولة المشهورة (لو تمالى أهل صنعاء على قتل رجل لقتلتهم جميعاً بسببه).

أما الحادثة الثانية فتقول أن أحد أبناء حفاش شكى ليعلى أن رجلاً قتل ابنه فطلب يعلى من سعيد بن عبدالله الكندي عامله على حفاش وملحان إحضار المشكو به فلما مثل بين يديه دعا نفراً من صلحاء صنعاء ورفع إلى والد القتيل سيفاً وقال اقتله وهؤلاء شهود فضربه حتى جدع عنقه، وجاء أهل الرجل كي يأخذوه ليدنوه إلا أنهم وجدوا أنه لا يزال به رمق من حياة، داووه إلى أن شفي وبعد رفترة فوجئ والد القتيل به يرعى الغنم فأتى يعلى ليخبره أن قاتل ابنه حي، طلب يعلى من العامل إحضاره وقال للأب إذا أردت قتله ادفع له دية فغضب الرجل وذهب ليشكو يعلى إلى الفاروق عمر رضي الله عنه لأنه يحول بينه وبين قاتل ابنه فغضب عمر وعزل يعلى وبعث المغيرة بن شعبة وأمره أن يرسل إليه يعلى فلما حضر وقص عليه الخبر طلب الرأي من كبار الصحابة فأكد الإمام علي بن أبي طالب صحة ما مضى به يعلى فبادر عمر إلى طلب المغيرة وأعاد يعلى إلى عمله ولما عاد يعلى إلى صنعاء أحسن إلى المغيرة حتى قال فيه والله أن يعلى كان خيراً مني حين عزل وحين ولى.

تنويه

أشكر الأستاذ محمد الحيمي فقد نبهني إلى أحد الاحتمالات التي أوردها الرازي عن اسم صنعاء وأنه يعود إلى اسم امرأة وهي معلومة أوردها الرازي في كتابه تاريخ صنعاء وقد وجدتها في المسودة، إلا أنها سقطت عند النقل كما يبدو لذلك أشكر وأطلب منه المعذرة ومن جميع القراء الأعزاء وجل من لا يسهو.

عاصمة تشرف كل اليمنيين

زياد معوضة

■ هذا هو الشعار الذي أطلقه الأخ أمين العاصمة اللواء عبدالقادر هلال خلال اجتماعه يوم الاثنين ٣ / ٧ / ٢٠١٢م بالمكتب التنفيذي بمقر الأمانة وفي خلال ثلاثة أشهر ستكون أمانة العاصمة هي النموذج الأول على مستوى عواصم المحافظات وستكون هي القدوة الأولى بمظهرها اللائق والمثقف مع مظهر أهلها وسكانها حيث بدأت نوعاً ما كتجربة ملموسة تلتزم بمعنى النظافة بكل المقاييس باعتبار أن النظافة سلوك حضاري للجميع ومسؤول عنها الكبير والصغير وهي قبل كل شيء وفي أولويات المجالس المحلية ورجل الدولة لأنها تعيد للدولة هيبتها ولا مجال لأي شخص كان مصدر جمع المخلفات والأوساخ ويرميها بيده أمام أنظار الناس ويقول «مافيش دولة» هكذا يطلقها بعظمة لسانه وهو السبب بأن يقر هيبة الدولة أو ينفيها، صحيح أنه كان يوجد إهمال وتقصير في جانب النظافة وهذا هو الفساد بعينه ومع مرور الأيام سيقول هناك حملات نوعية وتوعوية للنظافة ورفع المخلفات وضبط المخلفات، وللأمانة لا بد أن نعطي للأمانة حقها من الجمال والرقي والازدهار وإزالة تشويه مناظر الأمانة وترسيخ الذوق العام واحترام الأرصفة والشوارع العامة من العبث فيها وأيضا احترام الشجرة والإشارة والإنارة واللوحات الإرشادية والمعالم الأثرية البارزة وردم الحفريات وإزالة المطبات المستحدثة وليدة الليالي والساعات عشوائية الحجم سيئة المنظر ومن ورائها كوارث على السائقين المتهورين حيث ينزلق إلى جانب آخر يصيب أعمدة الكهرباء أو خطوط التلفون أو بني آدم أو ..... الخ لأنها مطبات مزاجية تتعلق عليها أنواع المواصلات وكأن الأمر لا يعني الشخصيات الاجتماعية المؤثرة أو عاقل الحارة أو المجالس المحلية وكأن هذا الحي فاقد للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو تركنا هذه المطبات من اختصاص الأمانة يكون بشكل فني هادف للغرض الذي وجدت من أجله طبقاً لمبدأ أو لقاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ما أجمل عندما يعود الانضباط العام للشوارع وعدم المهد والتصرف فيها كيفما يشاء المواطن خاصة أمام منزله.. ولو قام هذه الشخص بوضع لمسات جمالية من الزهور والأشجار ذات الرائحة الملطفة للجو والملفتة للانظار لكان على لسان كل شخص في الحي ويلقب بالبيت المثالي أو النموذجي ويحظى قريباً بتكريم الدولة للمنازل النموذجية أولاً بأول في الأحياء السكنية. وإذا وجدت النظافة تعكس مدى اهتمام وتفاعل ووعي المواطن بدءا بنظافة البيت ثم المدرسة والمسجد والحي، وإذا كان هناك شحة وقلة إمكانيات إلا أن الأمانة ملزمة بشراء أدوات النظافة كاملة يليها الشفاطات والقلابات والبراميل ووايتات للماء وإطفاء الحرائق لا بد أن تكون هذه الضروريات متواجدة على مدار الساعة في كل حي وهناك وعود بالبدء بآلية التنفيذ وايجاد البديل للباعة المتجولين والبساطين وإعطائهم الأولوية لمتطلباتهم وترتيبهم في أماكن مناسبة وتنظيم حزم أمر الأذان، كل مسجد يؤذن حسب توقيته، نداء خاص لأصحاب الخزانات والورش وقطع الغيار والمطاعم وبائعي القات سواء في الشارع أو من على السيارات عليكم الانضباط وكل إنسان يحترم النظافة وعامل النظافة ويكون العمل داخل مرافق الجميع.

المرور

ما أكثر الصدامات وعرقلة سير الحركة المرورية وترك الجولات والأحاديث الجانبية مع المواطنين أو مع بعضهم البعض وما يلفت الانتباه هو اختفاء دفاتر المخالفات لم نر أي دفتر في يد أي رجل من المرور في كل مكان وقبل هذا ضروري وجود العامل المساعد لضبط الجريمة ومرتكبيها في شارع ما ألا وهو أجهزة المناداة «اللاسلكية» أفضل من تعليق المسدس وتلفون السيار وأين الارشادات لوقوف السيارات بشكل طولي وعدم دخول الشاحنات في الساعة السادسة مساءً، أين الالتزام بالحزام الأمني حرصا على السلامة فقد حوله إلى حزام ناسف وأين الشروط المطلوبة في قيادة الدراجات النارية مثل «الخوذة والخوصة والرقم» إن قانون بلادنا مكتوب عليه تاريخ العمل به وتاريخ الانتهاء رحم الله القانون المؤقت ورحم الله صناع القرار.

التراخيص

وعن التراخيص حدث ولا حرج تصدر من الأشغال لموقف طويل وعريض لكن ما فيش له موقف للسيارة عمارات مخالفة للقانون والشارع العام وفي كل مرفق من مرافق الدولة لا يخلو من الفساد والمفسدين ينطبق عليهم القول «العين قصيرة واليد طويلة».

المسالخ

أين دور المسالخ في منح تراخيص اللحوم الصالحة للذبح والالتزام بعدم ذبحها إلا بعد إجراء الفحص عليها بدليل الختم مع وجود الدوريات خاصة هذه الأيام بسبب فقدان الضمير والوازع الديني والأمانة والصدق والأخلاق كلها نقرأ عليها الفاتحة، وأين دور وزارة الصحة وإثبات وجودها على الأقل الرقابة على الصيدليات التي يختلط فيها الحابل بالنابل ونزع الأسعار الملصقة على أنواع العلاجات وتبديلها بأسعار مناسبة لهم ولشركائهم والمستشفيات والمراكز الصحية يا فصيح لمن تصيح كل طبيب في فلك يسبحون المهم عياداتهم الخاصة وأنواع علاجاتهم في المستشفيات التي يعملون فيها يتم تسريبها بطريقتهم الذكية يا سعادة الوزير!!

السرقات وعملية النشل

ما أكثر هاتين العمليتين في كل وقت وحين وفي كل مكان حتى بيوت الله لم تسلم من السرقة على مستوى الحنفيات والساعات وبطريقة تفوق التصور وذكاء خارق وعصابة متدربة ومتعودة لا خوف من الله ولا من مراكز الشرطة والمناطق الأمنية حتى وإن مسكوه ولو كان من أهل السوابق يوقف لساعات ويصبح الساعة الأخرى حراً طليقاً يبحث عن صيد آخر، أين دور الشرطة الراجلة، أين اكتشاف الجريمة قبل وقوعها، أين العيون الساهرة، أين بوليس الآداب من شارع جمال وأمثاله» اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين.

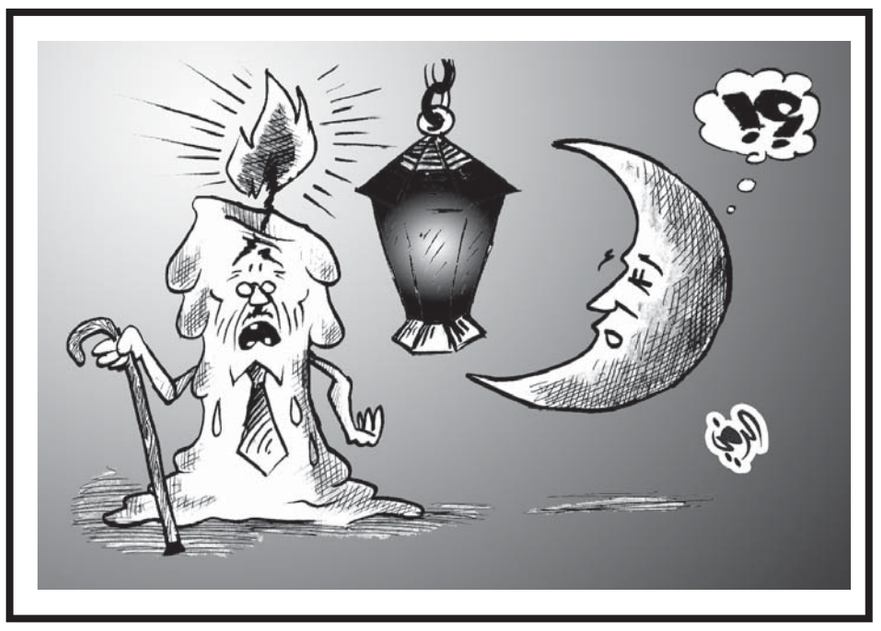

شهر الصيام يهذب الأخلاق

علي حسين علي العواضي

■ ما الأخلاق وما مفهومها في أذهاننا ومعاملاتنا؟ كلنا نسمع كثيرا عن الأخلاق في حياتنا من خلال ما يبث عبر وسائل الإعلام ومما تعلمناه في المدارس والجامعات ومن خلال ما نقرأه من كتاب الله وكتب الشعر والفقه، فهل فهمنا المعنى من هذه الكلمة من خلال ما سمعناه وقرآناه وتعلمناه، وهل قبلنا هذا المفهوم في أنفسنا وعقولنا وهل عملنا به أم أن مثل هذه الكلمات مجرد شعارات نمر عليها مرور الكرام ونرددها فقط ونتغنى بها ولا نعمل بها.

إذا أردنا أن نطبق هذا المصطلح في حياتنا وسلوكياتنا فلا بد لنا أولا أن نفهم ما هو المقصود من كلمة الأخلاق وما أهمية الأخلاق في حياتنا، فالأخلاق كما يعرفها أهل العلم والدراية بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه.

أما نبينا عليه الصلاة والسلام فله تعريف آخر للأخلاق حيث عرف الأخلاق بالدين الإسلامي وقرنه بها عندما سأله الصحابة عن الدين فقال عليه الصلاة والسلام الدين الخلق، وقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). ومن خلال هذين التعريفين نستطيع أن نستنبط ونوفق بين سلوكياتنا وديننا الإسلامي الذي يحثنا على مكارم الأخلاق والعمل بها لأن الدين المعاملة فللأخلاق أهمية بالغة في إتمام دين المرء ولا يتقبل الله عز وجل الفرائض والواجبات منا إلا إذا كانت مقرونة بالأخلاق الفاضلة، ويروى في كتب السيرة النبوية أن الصحابة أخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل لكنها سيئة الخلق بذيئة اللسان تؤذي جيرانها، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لا خير فيها هي من أهل النار) مما يدل على أهمية الأخلاق في ديننا الإسلامي حيث أنه لا يكتمل الدين إلا بالخلق، ومن أهم الأسباب التي تجعلنا نتخلق بالأخلاق الفاضلة والحسنة لأن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر وليكون الإنسان بطبيعة الحال كالوعاء إن ملأته عسلا أعطاك عسلا وإن ملأته حبرا أعطاك حبرا، كذلك الإنسان إن ملأته وأشبعته من الأخلاق الفاضلة رأيته لا يصدر عنه إلا كل فعل محبوب ومرغوب لدى الغير، لذلك علينا التحري في تربية أبنائنا التربية الصالحة المعتمدة على الأخلاق الفاضلة والحسنة، ومن فاته القطار ولم يتعلم محاسن الأخلاق ومكارمها وكان من أصحاب الأخلاق البذيئة فعليه أن يستفيد من المحطات والمواقف في الحياة وذلك بتهذيب وتقييم أخلاقياته وسلوكياته كما عليه أن يقتدي أيضا بأصحاب الأخلاق العالية والرفيعة ويجعلهم نبراسا له وبلا شك بأن خير قدوة هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أهم المحطات الروحانية التي ينبغي علينا جميعا أن نستفيد منها ونهذب أخلاقياتنا وما اعوج منها هي محطة شهر رمضان شهر الصيام الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى الفرقان، فهل استفدنا من هذا الشهر المبارك ومن فريضة الصوم التي فرضها الله علينا في هذا الشهر أم لا، حيث أن الصوم ليس المفهوم منه الامتناع عن الأكل والشرب فقط وإنما فرضه الله سبحانه وتعالى لكي يقوم ويهذب أخلاقياتنا وتسوية ما اعوج منها إضافة إلى الفوائد الأخرى من تعلم الصبر والإحساس بالفقراء والمساكين وكل ذلك يعتبر جزءاً من الأخلاق في حد ذاتها وتكفيرا لذنوبنا وما اقترفناه من معاصي وآثام خلال العام، وبما أن النظافة من الإيمان ومن مكارم الأخلاق الحميدة أحب أن أنوه في هذه الأيام التي نمارس فيها حملة نظافة لوطننا الغالي على قلوبنا وانتهز هذه الفرصة لادعو كل شرائح المجتمع الى تسهيل بتسهيل الصعاب والتعاون مع عمال النظافة والمساهمة بفاعلية من أجل إنجاح هذه الحملة لكي نظهر بلدنا وأحياءنا بالمنظر اللائق والجميل أمام الله أولا وأمام الغير حيث أن بلدنا هذا وأحياءنا تعتبر مرآة لنا تعكس مدى رفعة ومستوى أخلاقنا وإيماننا وثقافتنا، وأختم حديثي هذا بقولي أين نحن من قول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فيسبوكيات

JOIN US ON facebook CLICK HERE

هائل سلام

وهم الخلاص الفردي:

القهر›أياً كان مصدره› يفسد القدرة على التفكير المنظم› ويولد الشعور باليأس من التغيير›كمشروع للخلاص الجمعي.

واليأس من الخلاص الجمعي يؤدي إلى انهيار الاعتبار الذاتي›كنتيجة للشعور بالعجز وبانعدام الكفاءة الاجتماعية والمعرفية.

وبمقدار ما ينهار الاعتبار الذاتي يتضخم التقدير للمستبدين من ذوي القوة والنفوذ في المجتمع› مما يدفع إلى الوقوع في وهم الخلاص الفردي.من خلال أو آلية التماهي بهؤلاء ‹بتمثل قيمهم ونمط حياتهم.

وهو وهم› لأنه يقود إلى التنكر للذات ولانتماءاتها الاجتماعية والتاريخية ولتطلعاتها المستقبلية. ما يجعل المتماهي على هذا النحو إمعياً دائم الهروب من ذاته› يحل مشكلته من خلال التنكر لها ‹بدلاً من مواجهتها. بجرأة›وقوة وحزم.

والتنكر للذات هو تنكر لمصالحها الحقيقية› التي تكمن في التغيير الجذري للواقع وإعادة الاعتبار لقيم ومعايير الحياة›بما يكفل حياة كريمة لكل الناس.

نصر طه مصطفى

الطريق الصحيح

■ كل يوم يثبت الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي أنه على قدر المسئولية الكبيرة التي تحملها.. القرارات الأخيرة التي أصدرها وضعت ثورة يناير على بداية الطريق الصحيح.